البعد العلمي للقرآن الكريم

الدكتور مهدي گلشنى
رئيس معهد العلوم الانسانية
والدراسات الثقافية

نظرات في آيات القرآن العلمية:

يشير أكثر من عشر بالمائة من الآيات القرآنية الى الظواهر الطبيعية. ونحن لأجل سهولة البحث نشير اليها تحت عنوان الآيات العلمية. هناك سؤال أساسي وهو ما هي رسالة هذا النوع من " الآيات العلمية " تجاهنا وكيف نستفيد منها ؟ هناك رأيان متطرفان في هذا الموضوع تتوسطهما فئة كثيرة ذات رأي معتدل.

ترى فئة ان القرآن يشتمل على كل العلوم ولهذا فهو يحتوي على كل الأجزاء الرئيسية لعلوم الطبيعة، وتقابلها فئة أخرى ترى أن القرآن كتاب

هداية ولا مكان فيه للعلوم الفيزيائية والطبيعية. ونحن أولاً نبدأ بتوضيح هذين الرأيين ثم نُبدي رأينا في ذلك.

١. القرآن بصفته مصدراً للعلم :

نرى في العصر الحاضر فئة كثيرة تحاول تطبيق الآيات القرآنية على التطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة. والهدف الأساس لهذه الفئة هو تبيين الاعجاز العلمي للقرآن الكريم في مجال العلم أولاً ومن ثم اثبات عظمة القرآن ووحدانيته لاتباع الأديان الأخرى من جهة وحث المسلمين على الافتخار بمثل هذا الكتاب العظيم من جهة أخرى. لكن هذا الرأي ليس بجديد فنحن نجد بعض العلماء الكبار قديماً كان يرتئي مثل هذا الرأي ومنهم الغزالي فهو يروي في كتابه احياء علوم الدين عن ابن مسعود قوله:

" من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن " ثم يضيف الغزالي قائلاً : " وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته: وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن اشارة الى مجامعها " [١].

ويقول أيضاً في كتابه جواهر القرآن ودرره الذي ألفه بعد كتابه احياء علوم الدين:

" ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا انه بحر لا ساحل له وأن البحر – لو كان مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد – فمن أفعال الله تعالى وهو

[١] ابو حامد محمد الغزالي، احياء علوم الدين ، ج١، ص٢٨٩.

بحر الأفعال مثلاً الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم (وَإذا مَرِضتُ فَهوَ يشفينِ) وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه ، ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان وقد قال الله تعالى (الشمسُ والقَمَرُ بحُسبان) وقال (وَ قدّرهُ مَنازلَ لتعلموا عَدَدَ السنينَ والحسابَ) وقال (وَخُسِفَ القمرُ وجُمعَ الشمسُ والقَمَرُ) وقال (يُولِجُ الّيلَ في النهارِ ويُولجُ النهارَ في الّيلِ) وقال (والشمسُ تجري لمستقرٍ لّها ذلك تقديرُ العزيزِ العليم) ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكوّر أحدهما على الآخر إلاّ من عرف هيئات تركيب السموات والارض وهو علم برأسه ولا يعرف كمال معنى قوله (يا أيها الانسانُ ما غرّكَ بربّك الكريم الذي خلَقكَ فَسواكَ فَعَدَلك في أيِّ صُورة ما شاءَ ركّبك) إلا من عرف تشريح الأعضاء من الانسان ظاهراً و باطناً وعددها وأنواها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع اليها وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين " [١].

وجلال الدين السيوطي هو الآخر يرتئي هذا الرأي. فهو في كتابه **المشهور** " الاتقان في علوم القرآن " يحاول أن يثبت أن القرآن يشتمل على **جميع** العلوم ويستشهد بالاية الكريمة :

"... مَا فَرّطنا في الكتابِ مِن شَيء ". (الانعام، ٣٨)

والاية الكريمة:

"... نزّلنا عليكَ الكتابَ تبياناً لكلِّ شيءٍ ". (النحل، ٨٩)

[١] ابو حامد محمد الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص٢٦-٢٨ .

والحديث الشريف:

" ... قال **صلى الله عليه وسلم**: سيكون فتن. قيل وما المخرج منها قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ".

ليستدل بها على ان القرآن يُلِمُّ بالعلوم القديمة والجديدة ويضيف قائلاً :

" قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيئ؛ أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها.وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض ، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق " [١]

ونجد هذه الرؤية بين العلماء المتأخرين أيضاً، يقول عبدالرحمن الكواكبي في كتاب طبايع الاستبداد ومصارع الاستعباد:

" ... إن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبايع كثيرة تعزي لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد به التصريح أو التلميح في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلاّ لتكون عند ظهورها معجزة القرآن، شاهدة بأنه كلام ربّ لا يعلم الغيب سواه ... "[٢].

ووقف مصطفى صادق الرافعي في صف المدافعين عن هذا الرأي قائلاً :

[١] جلال الدين السوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص١٦٠ – ١٦٤.
[٢] عبدالرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٤٢.

" ان المرء ليجد في القرآن كثيراً من التلميحات الى الحقائق العلمية وان العلم الحديث يساعدنا على تفسير معاني بعض الآيات القرآنية واكتشاف حقائقها " [١].

وهنا يجب أن نقول ان الدافع للعلماء السلف على إقتناء هذه الفكرة هو إيمانهم الراسخ بجامعية القرآن الكريم، لكن العلماء المتأخرين يريدون إثبات الاعجاز العلمي للقرآن ويحاولون تطبيق القرآن على اكتشافات العلوم الجديدة فيرى بعض المتأخرين انه لا يوجد اكتشاف في العلوم الجديدة إلا وقد ذكره القرآن أو ألمح اليه. وعلى سبيل المثال الطنطاوي في كتابه تفسير الجواهر أراد أن يستنبط نتائج العلوم الطبيعية من القرآن الكريم وكان قلقاً خائفاً من أن لا يمتد به الأجل لاستنباط كل الاكتشافات العلمية والتكنولوجية من القرآن الكريم. ومع هذا فقد كان راضياً بان الاكتشافات العلمية حتى الآن أثبتت قدرة القرآن الكريم على الاخبار بالمغيبات [٢].

وقد ازدادت النشاطات في هذا المجال في عصرنا الحاضر فقد عقدت المملكة العربية السعودية قبل سنوات مؤتمراً في الباكستان تحت عنوان " المعجزات العلمية في القرآن والسنة ". وهناك الكثير من المقالات والكتب التي حاول مؤلفوها تطبيق " الآيات العلمية " في القرآن الكريم على العلوم المعاصرة وإثبات الاعجاز العلمي له. فمثلاً نرى ان عبدالرزاق نوفل في كتابه " القرآن والعلم الحديث " يقول :

" ... فهل إذا أوضحنا للعالم غير العربي أن القرآن معجزة علمية قد حوى أصول العلم الحديث، وسبق الى كل مستحدث من العلوم، ألا

[١] مصطفى صادق الرافعي، اعجازالقرآن والبلاغةالنبوية ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .
[٢] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ، ج٢، ص٥٠٥.

يكون هذا الوجه من إعجاز القرآن كافياً لاقناع رجاله بمعجزة القرآن ... لا سيما وإن حديث العلم هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجادل معه ويشك فيه؟ أوَ لا يكون إعجاز القرآن العلمي بذلك هو السبيل الى تبليغ الدعوة الاسلامية لغير العرب؟

إن اليوم الذي نترجم فيه على العالم، بلغاته المختلفة، ما قد سبق القرآن الى القول به، وأثبته التقدم العلمي في مختلف العلوم، لهوَ اليوم الذي نكون فيه قد أدينا الرسالة ، وأبلغنا الدعوة ، وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب. " [1]

وموريس بوكاى في كتابه العهدين ، القرآن والعلم يقول :

" الوحي القرآني ليس فقط يُرينا من التناقضات التي توجد في روايات الأناجيل وذلك بسبب تلاعب أيدي البشر بها بل اذا نظرنا في القرآن تحت ظلال العلم نجد سمة أخرى تخص هذا الكتاب وهي التناغم الكامل بين القرآن وبين نتائج العلوم الحديثة إضافة الى هذا فاننا نجد في القرآن الكريم موضوعات ونكات علمية. موضوعات ونكات لا يقدر أن يأتي بها انسان عاش زمن النبي (ص) وهذه في الواقع علوم حديثة تساعد على فهم بعض الآيات القرآنية التي تعذر تفسيرها حتى الآن " [2].

[1] عبد الرزاق نوفل، القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٢٦.

٢- Maurice Bucaille, The Bible, The Quran and Science.P. ٢٥١.

[2] أو ترجمة هذا الكتاب بالفارسية تحت عنوان : العهدين ، القرآن والعلم، ص٣٣٩.

وقد حاول بعض المؤلفين أن يستخرج كل فكرة هامة في العلوم الحديثة من القرآن الكريم وقد عدلوا في هذا المجال عن العرف المألوف في اللسان العربي. وعلى سبيل المثال حاول البعض أن يستخرج النظرية النووية للمادة من القرآن الكريم ويستدل [1] عليها بآيات مثل:

" ... وَما يَعْزُبُ عَن ربِّكَ من مثقالِ ذرّة في الأرضِ ولا في السماءِ ولا أصغرَ من ذلكَ ولا أكبرَ إلاّ في كتابٍ مبينٍ "

(يونس، ٦١)

فطبقوا كلمة " ذرة " العربية على " النواة " والحالة ان معنى " الذرة " المتداول هو " النملة الصغيرة ، وتطلق أيضاً على الدقيقة من الغبار " [2] ولا يوجد هناك دليل مقنع أن الله تعالى إستعمل مصطلحاً غير قابل للفهم خاطب به معاصري النبي (ص)[3]. ومحاولة تطبيق كتاب سماوي على العلم الحديث لا تنحصر بالمسلمين فالنصارى أيضاً حاولوا تطبيق الانجيل على العلوم الحديثة وهكذا فعل اليهود بالتوارة.

٢. القرآن بصفته كتاب هداية :

كانت الرؤية الاولى منذ القديم وما زالت موضوع النقد الحاد. فأبو اسحاق الشاطبي (المولود سنة ٧٩٠ هجرية) من أشد منتقدي هذه الرؤية ومخالفيها. إنه يرى أن سلفنا الصالح كانوا اكثر إلماماً منا بالقرآن الكريم لكنهم لم يتحدثوا عن هذه العلوم وهذا يعني أنهم يرون ان القرآن لا يشتمل على هذه الموضوعات. انه يربط الآية الكريمة :

[1] يوسف مروة، العلوم الطبيعية في القرآن، ص ١٦١ – ١٦٥.

[2] محمد جواد مغنيه، التفسير الكاشف، ج٤،ص١٧٣.

[3] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٨٥ – ٤٨٩.

يكون هذا الوجه من إعجاز القرآن كافياً لاقناع رجاله بمعجزة القرآن ... لا سيما وإن حديث العلم هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يجادل معه ويشك فيه؟ أوَ لا يكون إعجاز القرآن العلمي بذلك هو السبيل الى تبليغ الدعوة الاسلامية لغير العرب؟

إن اليوم الذي نترجم فيه على العالم، بلغاته المختلفة، ما قد سبق القرآن الى القول به، وأثبته التقدم العلمي في مختلف العلوم، لهوَ اليوم الذي نكون فيه قد أدينا الرسالة ، وأبلغنا الدعوة ، وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب. " [1]

وموريس بوكاى في كتابه العهدين ، القرآن والعلم يقول :

" الوحي القرآني ليس فقط يُرينا من التناقضات التي توجد في روايات الأناجيل وذلك بسبب تلاعب أيدي البشر بها بل اذا نظرنا في القرآن تحت ظلال العلم نجد سمة أخرى تخص هذا الكتاب وهي التناغم الكامل بين القرآن وبين نتائج العلوم الحديثة إضافة الى هذا فاننا نجد في القرآن الكريم موضوعات ونكات علمية. موضوعات ونكات لا يقدر أن يأتي بها انسان عاش زمن النبي (ص) وهذه في الواقع علوم حديثة تساعد على فهم بعض الآيات القرآنية التي تعذر تفسيرها حتى الآن " [2].

[1] عبد الرزاق نوفل، القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٢٦.

٢- Maurice Bucaille, The Bible, The Quran and Science.P. ٢٥١.

[1] أو ترجمة هذا الكتاب بالفارسية تحت عنوان : العهدين ، القرآن والعلم، ص٣٣٩.

وقد حاول بعض المؤلفين أن يستخرج كل فكرة هامة في العلوم الحديثة من القرآن الكريم وقد عدلوا في هذا المجال عن العرف المألوف في اللسان العربي. وعلى سبيل المثال حاول البعض أن يستخرج النظرية النووية للمادة من القرآن الكريم ويستدل [1] عليها بآيات مثل:

" ... وَما يَعْزُبُ عَن ربِّكَ من مثقالِ ذرّة في الأرضِ ولا في السماءِ ولا أصغرَ من ذلكَ ولا أكبرَ إلاّ في كتابٍ مبينٍ "

(يونس، ٦١)

فطبقوا كلمة " ذرة " العربية على " النواة " والحالة ان معنى " الذرة " المتداول هو " النملة الصغيرة ، وتطلق أيضاً على الدقيقة من الغبار " [2] ولا يوجد هناك دليل مقنع أن الله تعالى إستعمل مصطلحاً غير قابل للفهم خاطب به معاصري النبي (ص)[3]. ومحاولة تطبيق كتاب سماوي على العلم الحديث لا تنحصر بالمسلمين فالنصارى أيضاً حاولوا تطبيق الانجيل على العلوم الحديثة وهكذا فعل اليهود بالتوارة.

٢. القرآن بصفته كتاب هداية :

كانت الرؤية الاولى منذ القديم وما زالت موضوع النقد الحاد. فأبو اسحاق الشاطبي (المولود سنة ٧٩٠ هجرية) من أشد منتقدي هذه الرؤية ومخالفيها. إنه يرى أن سلفنا الصالح كانوا اكثر إلماماً منا بالقرآن الكريم لكنهم لم يتحدثوا عن هذه العلوم وهذا يعني أنهم يرون ان القرآن لا يشتمل على هذه الموضوعات. انه يربط الآية الكريمة :

[1] يوسف مروة، العلوم الطبيعية في القرآن، ص ١٦١ – ١٦٥.

[2] محمد جواد مغنيه، التفسير الكاشف، ج٤،ص١٧٣.

[3] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٨٥ – ٤٨٩.

" ما فَرَطنا في الكتاب من شيء .. "

بالفرائض والعبادات ويرى ان كلمة " الكتاب " في هذه الآية هي اللوح المحفوظ المذكور في الآية ٢٢ من سورة البروج.[١]

وقد نقد بعض العلماء المتاخرين أيضاً هذه الرؤية مبرهنين على ذلك بالنحو التالي:

أ- لا يصح أن نأول الكلمات القرآنية بشكل بحيث تصبح غير واضحة المعنى للعرب المعاصرين للرسول الكريم (ص).

ب- لم ينزل القرآن لتعليم العلم والتكنولوجيا بل هو كتاب هداية والآيات التي تتحدث عن العلوم الطبيعية انما جاءت لترغيب البشر في كشف أسرار الطبيعة فمعنى هذه الآية: " ما فرطنا في الكتاب من شيء..." وأمثالها هو أن القرآن يشمل كل الاشياء التي تعتبر ضرورية لهدايتنا وسعادتنا.

ت- العلم لم يصل الى نهايته لهذا لا يجوز تطبيق القرآن على النظريات التي تتغير بسرعة. فبعض النظريات تكون مقبولة حيناً ومن ثم تنسخها نظرية أُخرى أكمل منها. فالنظام البطلميوسي كان سائداً زمناً طويلاً ثم ترك بعد ذلك. اذن فمن الخطأ أن نفترض ان القرآن يؤيد النظريات المعارضة.

لم يبحث أبداً اساطين العلماء أمثال ابن سينا ، والبيروني، وابن هيثم والخواجه نصيرالدين الطوسي عن الصيغ والمعادلات العلمية في القرآن مع ان اعتقادهم به كان قوياً وعلمهم به كان كثيراً. فتطبيق القرآن على النظريات العلمية المتغيرة تعرض الحقائق القرآنية للآراء غير الصحيحة وتفتح الطريق للتأويل الخاطئ.

[١] يوسف ، مروتن العلوم الطبيعية في القرآن، ص١٦١ - ١٦٥.

ث- إنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يكتشف الانسان حقائق الطبيعة بنفسه عبر حواسه وعقله فلو بيّن القرآن علوم الطبيعة كلها لتعطل العقل البشري ولاصبحت الحرية البشرية عديمة الفائدة. يقول الشيخ محمد عبده مؤيداً هذا الرأي :

" انه لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل، وينزع الاستقلال من الانسان، ويلزم بأن يتلقى كل فرد من أفراده كل شيء بالتسليم، ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافياً لتعليم أفرادها في كل زمن ما يحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم. وإن شئت فقل : لوجب أن لا يكون الانسان هذا النوع الذي نعرفه ! نعم، إنَّ الأنبياء ينبهون الناس ، بالاجمال ، الى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوى الايمان ويزيد في العبرة. لقد أرشدنا نبينا (ص) الى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأبير النخل، إذ قال: " أنتم أعلم بأمور دنياكم " ومن هنا كان السؤال عن الروح خطأ ... كما كان السؤال عن علة اختلاف أطوار الأهلّة خطأ... بل عدّه القرآن من قبيل إتيان البيوت من ظهورها .. " فأبواب بيوت هذه العلوم هي العقل والتجريب ، وليس النقل وكتب الدين . "[١]

إضافة الى ذلك فان بعض الآيات القرآنية تصرح بانه من الواجب علينا ان نفقه الظواهر الطبيعية بمساعدة حواسنا وعقولنا :

[١] محمد عمارة، الاسلام وقضايا العصر، ص٧٥.

" قُلْ سيروا في الأرضِ فانظروا كيفَ بَدأ الخلْقَ ... (العنكبوت ، ٢٠)
" أفَلا ينظرونَ الى الإبلِ كيفَ خُلِقتْ والى السماء كيفَ رفعت والى الجبالِ كيفَ نُصبتْ والى الارض كيفَ سُطِحَتْ ". (الغاشية، ١٧ – ٢٠)

٣. استنتاجنا :

نحن نرى ان القرآن كتاب لهداية الانسان ويحتوي على كل الاشياء التي يحتاجها الانسان في مجال الايمان والعمل فالقرآن في رأينا ليس موسوعة علمية، ولا يجوز تطبيقه بالضرورة على النظريات العلمية المتغيرة ثم انه لا يمكن من ناحية أخرى كتمان الآيات القرآنية المتعددة التي تشير الى الظواهر الطبيعية لكنها ليست لتعليم العلوم بل ان هدفها الاساس هو تحريض الناس على طلب العلوم الطبيعية ومن ثم التوجه الى عظمة الخلقة المؤدي في النهاية الى القرب من خالق العالم. ثم اننا نرى أيضاً ان التقدم العلمي يُسهل فهم بعض الآيات القرآنية كثيراً فالآية التالية مثلاً :

" أولَم يَرَ الذين كفروا أنّ السموات والأرضَ كانَتا رتقاً فَفَتقنهُما وَجَعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ ... "

(الانبياء ، ٣٠)

تشير الى تحول المنظومة الشمسية ودور الماء في الحياة وهذه الآية:

" ومن كلّ شيءٍ خلَقنا زوجينِ لَعلكم تَذكرون "

(الذاريات، ٤٩)

تشير الى عمومية الزوجية في المخلوقات. من الواضح ان فهم هذه الأمور في عصرنا الحالي أسهل بكثير من فهمها في عصر النبي (ص) وبشكل موجز نقول ان رأينا في تأويل الآيات القرآنية العلمية هو نفس الرأي

الذي يرتئيه شيخ الأزهر الفقيد مصطفى المراغي في مقدمة كتاب الاسلام والطب الحديث حيث يقول:

" لست أريد أن أقول ان الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالاسلوب التعليمي المعروف، وإنّما أريد أن أقول انه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الانسان معرفته به ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر المشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه ...

... يجب أن لا نجر الآية الى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم الى الآية, ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة، فسرناها بها. " [١]

ان نتيجة تطبيق القرآن على العلوم المعاصرة هي أنه حاول بعض علماء المسلمين في عصر غلبة الفلسفة الوضعية أن يستنتجوا فكرة هذه الفلسفة من القرآن ليضعوها حجراً أساساً للحكمة القرآنية[٢]، دون أن ينتبهوا الى انه لا يوجد في هذا النمط من الملاحظة والاستناج أية مكانة للميتافيزيقيا والكائنات اللامادية.

ومع اننا نرى ان القرآن ليس موسوعة علمية، لكنه يوجد في الآيات العلمية دعوات هامة وعلى العلماء المسلمين الانتباه اليها. لا أن يصرفوا كل اهتمامهم في اثبات إعجاز القرآن علمياً أو تناغمه مع العلم الحديث.

---

[١] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٥١٩.
[٢] عفيف عبدالفتاح طباره، روح الدين الاسلامي، ص٢٧٠.

نعم ان ذكر بعض المواضيع مثل عمومية الزوجية في المخلوقات أو شفاء العسل للناس (كما جاء في الآية ٦٩ من سورة النحل) يمكن أن يلهم علماء المسلمين كثيراً في وضع النظريات او البحث التجريبي.

رسالة القرآن الى الباحثين المسلمين:

يوجد أكثر من ٧٥٠ آية في القرآن الكريم جاءت فيها اشارات الى الظواهر الطبيعية. وهذه الآيات تتضمن رسائل ودعوات مهمة الى العلماء المسلمين. وفي رأينا ان هذه الدعوات والرسائل تتضمن النكات التالية:

الف-

تؤكد هذه الآيات على دراسة كل أبعاد الطبيعة وكشف أسرار الخلقة.

" قُل انظروا ماذا في السمواتِ والارضِ ... " . (يونس، ١٠١)

" قُلْ سيروا في الأرضِ فانظروا كيفَ بَدأ الخَلْقَ ... ". (العنكبوت،٢٠)

قال العلامة الطباطبائي قدس الله روحه الزكية ما ترجمته : القرآن المجيد يدعو الى التفكر في آيات السماء والنجوم الزاهرة والتغيرات العجيبة التي تطرأ على أوضاعها والتأمل في النظام المتقن الذي يحكمها.

يحث على التأمل في خلق الارض والبحار والجبال والوديان والعجائب الموجودة في باطن الارض وإختلاف الليل والنهار وتغير الفصول.

يدعو الى التدبر في خلق النبات العجيب والنظام الموجود في حياته ويدعو الى التدبر في خلق أنواع الحيوانات وأفعالها وآثارها في البيئة.

يدعو مؤكداً الى التدبر في خلق الانسان والاسرار والرموز الخفية الموجودة في بناء وجوده وأكثر من هذا يدعو الى التدبر في النفس وعوالمها الباطنية وارتباطها بالملكوت الأعلى ويدعو الى السير في أقطار الأرض والنظر في ما بقى من الأسلاف واستطلاع أوضاع الأمم والمجتمعات البشرية وأحوالها والى الاعتبار بقصص القدماء وتاريخهم.

وهكذا يدعو الى تعلم العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة والفنون الأدبية وكل العلوم التي في متناول الفكر البشري والتي ينتفع الانسان والمجتمع البشري بتعلمها.

يدعو القرآن الكريم الى هذه العلوم بشرط أن تهدي البشر الى الحق والحقيقة. وبشرط أن تكون رؤيتها الحقيقية للعالم هي معرفة الله تعالى وإلا فالعلم الذي يشتغل به الانسان سيصده عن الحق والحقيقة وسيكون مرادفاً الجهل في قاموس القرآن المجيد ... [1].

فعندما يدعونا القرآن الى السير في الأرض ومعرفة مبدأ الخلقة فانه يريد منا أن نؤدي هذا الأمر الهام بالمساعي العلمية. التعاليم القرآنية لا ترضى أن يركن المسلمون الى الراحة ويتركوا للآخرين اكتشاف أسرار الطبيعة والتمتع بالفوائد الناتجة عنها ثم يستعبدوا المسلمين بواسطتها. نعم دراسة الآيات العلمية يجب أن تحرض المسلمين على الاقبال على العلوم الطبيعية لا أن يكتفوا بهذا الكتاب المقدس.

ب-

جاء في القرآن الكريم : لاشيء في هذا العالم إلا وله قانون وهدف. ولا يوجد أي خلل أو نقص في الخلقة.

" وَخَلَقَ كلّ شيءٍ فقَدّرهُ تقديراً ". (الفرقان، ٢)

" وما خَلَقنا السماءَ والارضَ وما بينهُما لَعبينَ ". (الانبياء، ١٦)

" وما ترى في خَلقِ الرحمن من تَفاوتٍ فارْجعِ البصرَ هلْ ترى من فطور) . (الملك ، ٣- ٤)

ج -

يدعونا القرآن الى معرفة القوانين الطبيعية, لنستفيد منها من أجل السعادة البشرية ثم أن لا نتعدى الحدود الالهية :

---

[1] السيد محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الاسلام،ص٩٤.

" وسخّر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه ". (الجاثية ، ١٣)
" والسماء رفعها و وضع الميزان ألاّ تطغوا في الميزان ". (الرحمن، ٧-٨)

طبعاً يجب أن يكون استثمار الماديات في سبيل نمو معنويات البشر لا في سبيل اتلافها.

د-

العلوم المختلفة من وجهة نظر القرآن هي تجليات مختلفة للعالم خلقها وتدبرها إله واحد. على هذا يجب أن ينتهي تأليفها الى صورة واحدة من العالم.

هـ -

من أهم الأشياء التي نتعلمها من القرآن بالنسبة الى العلم معرفة العالم وإدراك المعرفة. كثير من الشرور التي تنتج من العلم ناشئة من المعرفة المادية للعالم والمسيطرة على العلم الحديث. يعلمنا القرآن المعرفة الالهية للعالم وآلات معرفة الطبيعة ويطلعنا على موانع المعرفة وآفاتها.

والخلاصة إن أهم الدروس التي نتعلمها من آيات القرآن العلمية كالآتي:

١. علينا أن نستخدم حواسنا وعقولنا لمعرفة الطبيعة ونجعل هذه المعرفة نصب أعيننا من أجل سعادة الامة الاسلامية وإعتلائها.
٢. يعلمنا القرآن المجيد أصول معرفة العالم وإدراك المعرفة.
٣. يمكن أن تُلهم بعض الآيات القرآنية العلماء في بحوثهم النظرية والتجريبية.